مقالة في التربية

لحضرة الكاتب الفاضل عبد الله افندي المراش نزيل مرسيليا

(تابع لما قبل)

فصل
في الرياضة

امّا رياضة الجسم فهي من اشدّ الاشياء ضرورةً لنموّ الولد ولاسيما اذا دخل الكتّاب وصار يقضي فيهِ بضع ساعاتٍ من النهار مكبًّا على الدرس اكبابًا لا يتأتّى لهُ معهُ ان يبرح مكانهُ كما اراد . فلذلك ينبغي ان يتخلل ساعات الدرس فترات متعددة يقضيها الاولاد بالرياضة واللعب كما يجب على المعلّم ان يُعدَّ لهم او يضع بين ايديهم ما يستلفت انظارهم من فنون اللعب الذي يقتضي الحركة ومجانبة السكون حتى يلعبوا فتمرن بذلك ابدانهم في لين معاطف ويشتد عضلهم وتصلب اعضآؤهم من غير جُسْأةٍ . ولكن يجب عليهِ ايضاً ان يتفادى من اكراههم على صنفٍ من اللعب لا يحبّونهُ ومن صدّهم عن صنفٍ يحبّونهُ لان انفع اللعب لهم ما يحبّهم وما يلعبونهُ من تلقآء انفسهم ويجدون فيهِ لذةً وسرورًا . وفائدة الرياضة كلها قائمةٌ في هذا الامر وهو ان يلعب الاولاد اللعب الذي يغتبطون بهِ ويخترعونهُ او يختارونهُ هم لانفسهم لا اللعب الذي يقترح عليهم . وهذا بديهيٌّ لانهم ان أُكرهوا على صنفٍ من اللعب لا يحبونهُ ولا يحبّهم لم يجدوا فيهِ لذةً ولا لهوًا بل كان لهم بمنزلة مداومةٍ للدرس من غير انقطاع ولا فترةٍ فتفوت بذلك النكتة المرادة منهُ وهي اعفآؤهم من الدرس برهةً لراحة اذهانهم وترويح نفوسهم وشرح صدورهم . وزد على ذلك ان اللعب بمنزلة جائزةٍ لهم ينالونها على ما قاسوهُ من المضض في اكبابهم على القرآءة

والكتابة والدرس فكلما كانت تلك الجائزة احبَّ اليهم كانوا على اكتسابها احرص

ومن صنوف الرياضة التي تحسن آثارها فيهم لا في صبام فقط بل في شبيبتهم ايضاً الرقص والسباحة والتمشي الى الارياف والمنازه في الايّام المصحية وكذلك ركوب الخيل والتزاوف وهو شيء مما يفعلهُ البلهوان

ثم انهُ من البغي ان يزجرهم عريفهم او معلمهم عن الضجيج والضوضاء والطقطقة والقهقهة اثناء اللعب بحجة انهُ يشمئز من ذلك فان هذه افعالٌ طبيعية لم وتترتب على لعبهم فلا اظلم ممن يردعهم عنها فرارًا من احتمال مشقةٍ يسيرةٍ بسببها

وكذلك يحسن ان يشركهم عريفهم في اللعب ترغيباً لهم فيهِ وتجرئةً لهم عليهِ لانهُ ان اعتزل اللعب معهم شعروا بانهُ رقيب عليهم لاغير فمقتوهُ لان كل رقيبٍ ممقوت بغيض

ويحسن ايضاً ان يكون لعبهم على رهنٍ او جائزةٍ زهيدةٍ من نحو كتابٍ او غيرهِ ينالها في ختام السنة من كان ابرعهم في فنون اللعب لان ذلك يرغّبهم في هذا الضرب من الرياضة ويحملهم على المغايرة وينشطهم على المباراة فتحسن آثار ذلك فيهم اذا شبّوا لانهم يعتادون بهِ المغالبة التي لابدّ منها في هذه الدنيا لدفع المضارّ واجتلاب المنافع

المطلب الرابع
في التربية الذهنية

الفرق بين التعليم والتربية ان ذاك قائمٌ بتلقينك الولد شيئاً من المعارف بمقدار ما يتسع لهُ ذهنهُ بالنظر الى سنّهِ ومزاجهِ وتلك قائمةٌ بارهافك ذهنهُ شيئاً فشيئاً ليتهيأ ويتّسع لقبول ما ستُلقيهِ اليهِ من تلك المعارف. والتعليم خاصٌّ لانهُ مقصورٌ على امداد قريحة الولد بما يلائمها من موادّ المعارف الانسانية اما

التربية عامّةً لانها تتناول ما فيهِ انمآء بدنهِ وتقويم سيرتهِ وتهذيب اخلاقهِ فضلاً عن ارهاف ذهنهِ . وكل مَن ربيّتهُ فقد علمتهُ شيئاً او اخرجتَ من القوة الى الفعل ما كان كامناً في فطرتهِ من القوى العقلية وايقظت ما كان من ذلك راقداً في سجيّتهِ ولكن ليس كل من علمتهُ شيئاً فقد ربيّتهُ . فان قلنا هذا غلامٌ حسن التربية فقد وصفناهُ ايضاً بان لهُ المامًا بشيءٍ من المعارف ولكن ان قلنا هذا غلامٌ لهُ المامٌ بشيءٍ من المعارف لم ينتج من ذلك بحكم الضرورة انهُ حسن التربية ايضاً فالتعليم اذًا فرعٌ من التربية وذريعةٌ من ذرائعها لا التربية كلها كما يذهب اليهِ بعض الناس

والتربية باطلاق اللفظ اي التربية العامّة التامّة هي عملٌ عظيم مهمٌّ متعدّد الاساليب متنوّع الكيفيات متفاوت السِّيَر والادوار مختلف الاعراض الاّ ان جوهرهُ واحدٌ كما ان غايتهُ واحدةٌ وهي اعانة الطبيعة على انمآء بدن الولد وتنوير ذهنهِ وتقويم سيرتهِ وتهذيب اخلاقهِ وكل ذلك بقدر الاستطاعة وعلى الوجه الاصلح لهُ فيما سيصير اليهِ والاصلح للجمهور ايضاً . وهذه الغاية يدركها المربي سوآء كان اباً او اماً او معلماً او استاذاً بذرائع متعددة قد ارتبط بعضها ببعضٍ لابراز فعلها ارتباط بعض دواليب الساعة ببعضٍ حتى اصبحت ولا غنى لاحداها عن الاخرى

فذرائع تربية البدن قد تقدم منها في موضعهِ ما يغنينا عن تكرارهِ هنا اما ذرائع تنوير الذهن فمن اهمها ما نحن بصددهِ من التعليم . الاّ ان هذا التعليم ينبغي ان يُبتدأ فيهِ بالاشيآء اي بتفهيم الولد معاني الاشيآء التي تقع تحت حواسّهِ وتفسيرها لهُ بالصوت الحيّ اي بالتلقين الشفاهي وبمجاوبة الاسئلة التي لا ينتزع عن طرحها بالاشارة او باللسان لان طلب التعلم غريزيٌّ قد فُطِر عليهِ

الاولاد كافةً . انظر الى هذا الطفل وهو بعدُ في مهدهِ فان تحديقهُ النظر في كل غريبٍ يدنو منهُ وتناولهُ كل ما تقع عليهِ يدهُ ليحملهُ الى فمهِ ويعضّ عليهِ كل ذلك استفهامٌ غريزيٌّ ورغبةٌ طبيعيةٌ في الاستطلاع بها يبتدئ تنوُّر عقلهِ فيشرع في ادراك المدركات وتفهمها بالاختبار والامتحان من تلقآء نفسهِ وعلى قدر استطاعتهِ وهذا اكثر انواع التعليم والتعلّم فائدةً . وانظر ايضاً الى هذا الصغير اذا ذهبت بهِ امهُ او ظئرهُ او حاضنتهُ الى البستان او احد المتنزهات فانهُ قلّما يقطف زهرةً او يصطاد فراشةً او يلتقط حصاةَ الآجآء بها الى مَن يكون معهُ وفي بريق عينيهِ وتهلل وجههِ دليلٌ لا على اغتباطهِ بما وجد فقط بل على رغبتهِ ايضاً في معرفة شيءٍ من امرهِ يطلب ذلك تارةً بالاشارة والتلميح وتارةً بالتصريح بقولهِ لماذا وماذا وما جرى هذا المجرى من الاسئلة التي لا يكاد يفتر عن طرحها علينا ولا نكاد نحن نفتر عن زجرهِ عنها محتجين انهُ لا يليق بمن كان في سنّهِ ان يكون فضوليًّا متطالاً حتى اننا اذا جاوبناهُ عليها فكثيرًا ما نجعل جوابنا قليل الفائدة او مخالفاً للحقيقة وذلك اما جهلاً او كسلاً او لعلةٍ اخرى . وقد مرّ بك ان التربية غايتها ان تؤهل الانسان منذ حداثة سنهِ لان يكون رجلاً بالحق اذا شبَّ وهذا يقتضي من المربي كائناً من كان ان يُعنى باعانة الطبيعة على انمآء ذهن الولد وتقويتهِ عناية الزارع بالزرع وعناية الكرّام بالكرمة فكما ان الزارع يتعهد الزرع ويقتلع ما ينبت في خلالهِ من شوكٍ يخنقهُ وزؤانٍ يفسدهُ وكما ان الكرّام لا يترك الكرمة لشأنها بل يتعهدها بالتقضيب والتعريش والسقي فكذلك يجب على المربي ان يحرص على تقوية ذهن الولد وارهافهِ وتهيئتهِ لما سيُلقى اليهِ من المعارف وما سيُلقَّنهُ من التهذيب لان التربية انمآء وتقويةٌ لا لبدنه فقط بل لذهنهِ ايضاً الا انها ينبغي ان تكون في امر

الذهن كما هي في امر البدن اي رويدًا رويدًا و بحسب ترتيب الطبيعة وتبعًا لمجراها لا ابتسارًا ولا قسرًا لان كل ما ابتسرتهُ او انميتهُ قسرًا او لم تقوِهِ لابراز الثمار التي تحبّ ان يبرزها فقد انميتهُ عبثًا وعرَّضتهُ لوشيك الذبول واليس لمخالفتك فيهِ مجرى الطبيعة وكنت فيهِ كالذي يستنبت شجرةً لا في ارضٍ طيّبةٍ بل في بيتٍ من الزجاج ويغذوها سمادًا كيماويًّا ويسقيها ماء العقاقير لا ماءً طبيعيًّا من مطر الغمام او ندى الاسحار ويحملها على سرعة النموّ بحرارة النار او البخار لا باشعّة الشمس والهواء الطيّب ثم يطمع في ان تثمر ثمرًا صالحًا زكيًّا لكنها قلما تثمر وان فعلت فثمرها يكون في الغالب تفهًا لا يستلذهُ احدٌ ثم انها وان سمقت اغصانها تبقى ضعيفةً قلقةً لان اصولها غير راسخةٍ في ارضٍ تلائمها فاذا زُعزعت ايسر زعزعةٍ انقلعت

وهذا الضرب من الانماء الابتساري القسريّ لاذهان الاولاد هو عين ما نراهُ في بلادنا بل في غيرها من البلاد ايضًا فما اكثر المدارس عندنا ولكن ما اقلّ نفعها وانما قلّ نفعها لان القيّمين عليها لا يلتفتون الى تربية الاولاد فيها بحسبما سنّت الطبيعة ولا يراعون في ذلك ما تقتضيهِ الحال بل بحسب زعمهم او وهمهم او بحسب ما تحدوهم اليهِ مصلحتهم او ما يحدوهم اليهِ زهوهم وزهو الوالدين ايضًا فيحشون رأس الولد قواعد علومٍ لا تلائم طبعهُ ولا توافق ميلهُ واستعدادهُ ولا تناسب سنّهُ وطبقة اهلهِ ولا يفهمها هو نفسهُ لانهم لم يرشحوهُ لها من قبل ذلك فالولد الذي يربّونهُ هكذا يصبح وهو ابن اربع عشرة سنةً اعجوبة زمانهِ ونابغة عصرهِ حفظًا لانواع البديع وابيات الالفيّة واسماء بحور الشعر واصناف الزحاف واصطلاحات المناطقة لكنهُ يبقى طول عمرهِ مائقًا مغفّلًا بليدًا ان استكتبتهُ بضعة اسطرٍ شحنها تسجيعًا وتجنيسًا لكنهُ لحن فيها مرارًا باعتبار اللفظ واخطأ

المرمى باعتبار المعنى وان استنشدته بيتاً لم يُتم وزنهُ وان غالطتهُ بقياسٍ سوفسطائي لم يدرِ من اين دخلت عليهِ المغالطة

وانما كانت هذه حالة اكثر الاولاد في بلادنا لاننا نتوهم ان تربيتهم قائمةٌ بمجرّد تدريسهم بعض قواعد العلوم فنُكرههم على تملها والأولى ان نقول على تحفُّظها غيباً وهم في سنٍ لا تصلح لها وطبعٍ ينفر منها ومن قبل ان نهيئهم لادراك مغزاها بالذرائع العملية البديهية اي بتنوير اذهانهم اولاً وتقويتها شيئاً فشيئاً وذلك بالخطاب قبل الكتاب حتى يترشحوا لقبول الدروس التي ستُلقى عليهم بعد ذلك فيتفهمونها ويتشرّبونها ويطبّقون احكامها الكلية على ما يجري كل يوم على مسمعٍ منهم ومرأى من الاحوال والحوادث الجزئية ويكونون الى تحقّق صحة تلك الاحكام اسرع لانهم تيقنوا انطباقها على الجزئيات التي لابسوها واختبروها بانفسهم من قبل . اما القواعد التي نحملهم على تحفظها غيباً ومن غير فهمٍ عمليّ لمعانيها فتكون عندهم من قبيل الالغاز والاحاجي ويصير مثلهم فيها كمثل الحمار يحمل اسفاراً ولا تستقرّ في ذاكرتهم الاّ حيناً ثم ينسونها بتةً

وما اكثر تبجحنا اذا ختم الولد منا دروسهُ هذه ونال الشهادة او حاز الاجازة من الفاحصين وما اشدّ مباهاتنا بما يسردهُ يومئذٍ علينا وعلى اصدقائنا من جُملٍ مطنطنةٍ لا يدري معناها ومن قواعد عويصة لا يقدر ان يبني عليها شيئاً اذا مست الحاجة . مساكين الاولاد الذين هذه حالهم فهم ينشؤون وينمون ولكن تفوتهم التربية الحقيقية اي الذهن المخرَّج والفهم المنبَّه والعقل المستنير وغير ذلك من صفات الذكاء التي بها لا بسواها يمكنهم ان يتعلموا كل ما يصلح لهم وما يؤهلهم لان يكونوا رجالاً

ستأتي البقية